يتنقل عليها طلباً للرحيق، إلا الأزهار الزرقاء والصفراء والطيور والحيات قادرة على تمييز بعض الألوان، ولكنها عاجزة عجزاً تاماً عن تمييز اللون الأزرق.

وسمك الأنهار والبحار غير العميقة يميز بعض الألوان. ولذلك يستخدم بعض الصيادين الألوان الجذابة في طلاء طعم السمك. أما الاسماك التي تعيش في البحار العميقة، فليست لديها فرصة لتدريب عيونها على تمييز الألوان، لأن قعر تلك البحار مظلم وقاتم.

سمير يذهب الى لندن

أخي علي:

ها أنذا أكتب إليك، كما وعدتك، لأصف لك تفاصيل رحلتي إلى لندن، تلك الرحلة التي وعدني إياها والدي إذا ما نجحت في الامتحان. لا تكن غيوراً، يا علي، فإنك ما زلت صغيراً، وسيأتي دورك قريباً، فتذهب مع والدي في رحلة شبيهة بها، على شريطة أن تنجح في امتحانك كما نجحت.

وصل بنا القطار إلى بور سعيد، الساعة العاشرة مساء، وكنا قد تناولنا عشاء شهياً في مركب الأكل. فذهبنا توًّا إلى الميناء، ولم تكن الباخرة راسية على الرصيف، بحيث يمكن الصعود إليها مباشرة، بل كان علينا أن نأخذ زورقاً بخارياً يحملنا إليها.

كنا بالباخرة الساعة الحادية عشرة تماما. ولا أستطيع، يا علي، مهما حاولت أن أصف لك شدة دهشتي حين وقع نظري على تلك الباخرة. هذا شيء هائل جداً ليس له أول ولا آخر: طبقات بعضها فوق بعض كبناء شامخ شاهق، وطرقات طويلة جداً، وحجرات مرصوصة بنظام واحد ذات اليمين وذات اليسار. فسرنا نبحث عن حجرتنا، وكان رقمها ٤٤٩، حتى بلغناها، فتركنا بها أمتعتنا، وعدنا مسرعين إلى السطح، فإذا الباخرة تكاد تكون محاطة من جميع جهاتها بزوارق صغيرة ملأى ببضائع مختلفة كان أصحابها يصيحون ويهللون بلهجة انكليزية تثير الضحك، حتى إذا أراد أحد الركاب — وأغلبهم قادمون من زيلندة الجديدة وأستراليا والهند — أن يشتري شيئاً منهم، قذفوا إليه بطرف حبل قد ربطوا بطرفه الآخر سلة صغيرة، يضعون فيها بضاعتهم، فيشد المشتري إلى أعلى فيأخذ ما به، ثم يدليه إليهم بعد أن يضع فيه النقود.

وليس الأمر مقصوراً على حجرات وطرقات بل هناك ردهات الجلوس والتدخين والمكتبة. ويكفي أن تعلم أني أكتب إليك الآن، وأنا جالس أمام مكتب

جميلٍ فى حُجْرَةٍ فسيحةٍ ، لاتَقِلُّ مساحتُهَا عن مساحةِ حُجُرَاتِ مَنْزِلنَا مجتمعةً . وَأَمَامِي عَلَى المكتبِ أدواتُ الكتابةِ كاملةً ، مِنْ مِدَادٍ وأقلامٍ وأوراقٍ مطبوعٍ بأعلاها اسمُ شركةِ الملاحةِ واسمُ الباخرةِ .

كلُّ هذه الأشياء تَجْعَلُ من الصَّعبِ علىَّ جدًّا أنْ أشْعُرَ أنَّنِي على ظَهْرِ باخرةٍ . فكلُّ شىءٍ هنا يُشْعِرُنِى أنَّنِي فى قَصْرٍ ضَخْمٍ فَخْمٍ لعظيمٍ من العظماء . والآنَ أصِفُ لك حُجْرَةَ النَّوْمِ : هذا سَرِيرِى إلى اليَمِينِ وسرير والدى إلى اليَسَارِ ، وبَيْنَهُمَا حوضُ الغسيلِ ، عليه صنبورُ الماء ، تَعلوه مِرْآةٌ . وبالحجرةِ نافذةٌ مستديرةٌ مُطِلَّةٌ على البحرِ ، لها غِطاءٌ من زجاجٍ سَمِيكٍ جدًّا . وفى ناحيةٍ أُخْرَى من الحُجْرَةِ صِوَانُ الملابسِ . وفى سقفِ الحجرةِ مِرْوَحَةٌ تَدُورُ بالكهرباء ، وعلى أرضِها بِسَاطٌ جميلٌ .

أبْحَرَتْ بنا الباخرةُ عندَ مُنْتَصَفِ اللَّيلِ ، ونِمْنَا نحنُ قُبَيْلَ الساعةِ الواحدةِ . واسْتَيْقَظْتُ الساعةَ السادسةَ والنِّصْفَ على صوتِ الخادمِ الانجليزىِّ ، وَهُوَ يُنَاوِلُنِي قَدَحًا من الشاى وقليلا من (البسكويت) . وكُنْتُ أشْعُرُ بجُوعٍ شديدٍ ، فالتَهَمْتُ (بسكويتى وبسكويت) والدى ، واكْتَفَى هو بقَدَحِ الشاى .

وَأَخَذَ كلٌّ منا حمَّامَ الصباحِ . وحُجُرَاتُ الحمَّامِ هنا من أحْدَثِ طِرَازٍ : حَوْضٌ كَبِيرٌ من الخَزَفِ ، عليه صُنْبُورَانِ كَبِيرَانِ ، أحَدُهُمَا للماءِ الساخنِ والآخَرُ للماءِ البارِدِ . والأرضُ مُغَطَّاةٌ بالمَطَّاطِ ، وبالحجرةِ مِشْجَبٌ للملابسِ ومِرْآةٌ . وما كِدْنَا نَرْتَدِى ملابسَنَا ، حتى سَمِعْنَا طَرْقًا يُشْبِهُ صَوْتَ النَّاقوسِ ، فقالَ وَالدِى : « هذا إيذانٌ بالفُطُورِ » . اتَّجَهْنَا إلى حُجْرَةِ الطَّعَامِ ، وما دَخَلْنَاهَا حتى كِدْتُ أُفْقِدُ صَوَابِى . فَسَأَلْتُ نَفْسِى قائلاً : « أنَحْنُ حقًّا فى باخرةٍ تَسِيرُ عَلَى الماءِ ، أم نحنُ فى قَصْرٍ من قصورِ الأمراء ؟ » تَصَوَّرْ يا عَلِيُّ ، حُجْرَةً تَسَعُ أرْبَعمِائَةِ شَخْصٍ دُفْعَةً واحِدَةً مُنَسَّقَةً أحْسَنَ تَنْسِيقٍ ، قد زُيِّنَتْ مناضِدُها بالأزْهارِ الجميلةِ ، وَعُلِّقَتْ عَلَى جُدْرانِهَا وَسَقْفِهَا مَرَيَّاتٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ بديعةٌ . وانْتَشَرَ الخَدَمُ فيها ، وهم يَلْبَسُونَ زِيًّا واحِدًا بَهِيجًا . أخَذْنَا مقاعدَنَا ، وأخَذَ والدِى يَنْظُرُ فى وَرَقَةٍ كَانَتْ مَوْضُوعَةً على المائدةِ . عَلِمْتُ أنَّ بها ألوانَ الطَّعَامِ المُهَيَّأَةَ لِلْفُطُورِ ، ولنا أنْ نَخْتَارَ منها ما نَشَاء . وكانَتْ أغْلَبُ الألوانِ هذه غريبةً عنِّي ، لم أسْتَطِعْ أن أفْهَمَ منها غيرَ الخُبْزِ والزُّبْدِ والبَيْضِ والرُّبِّ . ماذا تَفْهَمُ باللهِ عليك من Haddock أو devil's drumstick . ويُدْهِشُكَ أنْ تَعْلَمَ أن هذه الألوانَ هى نوعٌ من السمكِ ، ورِجْلُ فَرْخَةٍ عَلَى الترتيبِ .

وَصَمَدْنَا بعدَ تَنَاوُلِ الفُطُورِ إلى ظَهْرِ السَّفِينَةِ . فَكَأَنَّنَا فِى أحَدِ الأنْدِيَةِ الرياضيَّةِ : هؤلاء يَتَقَاذَفُونَ

جانب من قاعـــة الجلوس

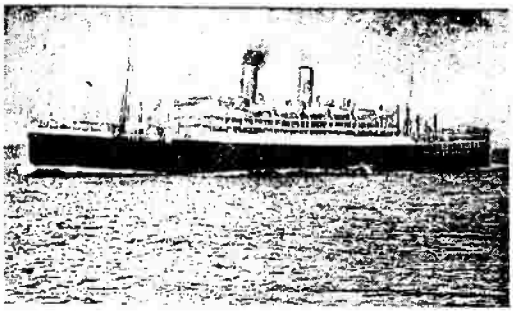

صورة البـــاخرة

جانب من قاعـــة الطعام

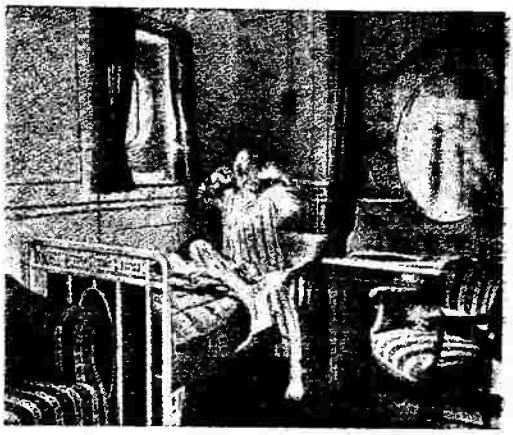

جانب من حجرة النوم

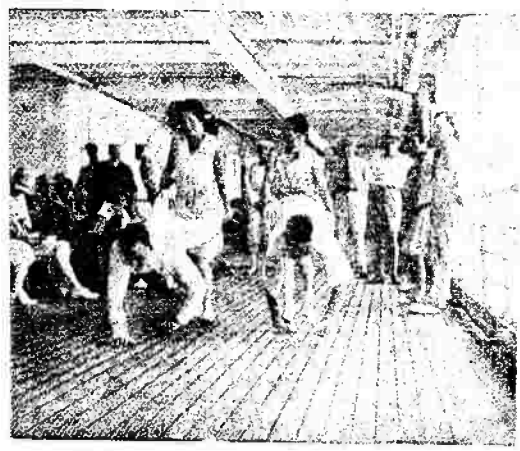

بعض الركاب يلعبون على السطح

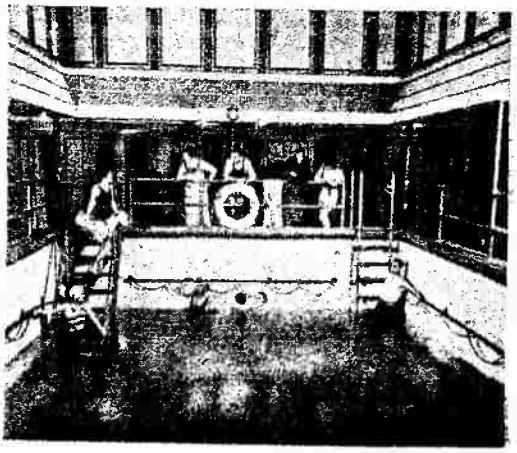

حوض البـــاحـــة

الكُرةَ ، وهؤلاء يَسْبَحُونَ فى حَوْضٍ كبيرٍ ، وهؤلاء يَلْعَبُونَ (البنج بنج) ، وأولئك يَلْعَبُونَ (التنس) ، وهنا وهناكَ آخَرُونَ يَلْعَبُونَ ألعاباً لا عَهْدَ لى بها ، ولَمْ أَكُنْ أَفْهَمُهَا ، حتَّى شَرَحَهَا لى والدى . وسأَصِفُهَا لك عندَ عَوْدَتى لِتُشَارِكَنِي فى لَعِبِها .

وتناوَلْنَا الغَدَاءَ الساعةَ الواحدةَ ، والشايَ الساعةَ الخامسةَ ، والعَشَاءَ الساعةَ السابعةَ . وأُعْقِبَ العَشَاءَ حَفْلَةٌ خَيَالِيَّةٌ (سينمائية) عُرِضَتْ فيها أَشْرِطَةٌ (أفلام) مُسَلِّيَةٌ .

اليوم الثانى :

أُخِّرَتِ الساعاتُ نصفَ ساعةٍ ليلةَ أَمْسِ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ عندَ ما دَقَّتِ الساعاتُ اثْنَىْ عَشْرَةَ دقَّةً (منتصف الليل) ، أُخِّرَتْ جميعُها إلى ١١ . أَتَدْرِى لماذا ؟ لقَدْ أَبْحَرْنَا نَسِيرُ غَرْباً ، فنحنُ الآنَ عَلَى غيرِ خطِّ الطُّولِ الذى تَقَعُ عليه القاهرةُ .

مَرَرْنَا صباحَ اليومِ بِجَزِيرَةِ كريت ، وكُنَّا قريبينَ جداً من ساحِلِها . كانَ جميلا أن أَرَى تلكَ الجَزِيرَةَ رَأْىَ العَيْنِ ، وأَرَى تِلَالَهَا ومَنَازِلَهَا وطُرُقَاتِهَا ، بعدَ أن كُنْتُ لا أَرَاهَا إلاَّ فى المُصَوَّرِ الجُغْرَافِيِّ دَائِرَةً صغيرةً فى وَسَطِ البحرِ الأبيضِ المُتَوَسِّطِ .

تَبَيَّنَ لى ، بعدَ دِرَاسَةِ هذه الباخِرَةِ ، أَنَّهَا تَتَكَوَّنُ من ثمانِ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فوقَ بعضٍ . سَأَلْتُ والدِى : « مَا عَدَدُ بَحَّارَةِ هذه السفينةِ ؟ » فقالَ : « لا أَدْرِى ، ولكِنْ لا بُدَّ أَنَّهُمْ كثيرونَ » . وسَأَلْتُهُ : « وَمَا عَدَدُ الأُسِرَّةِ والحُجُرَاتِ : » فقالَ : « لا أَدْرِى ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنَّهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا » . قُلْتُ : « وَمَا السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ ذلكَ بالضَّبْطِ ؟ » فقالَ : « سَنَذْهَبُ يَوْماً إلى أَحَدِ مكاتِبِ الإدارةِ ، ونَتَعَرَّفُ ذلكَ . »

الجَوُّ جميلٌ جِدًّا ، وقد سِرْتُ فى أَنْحَاءِ السفينةِ ، وإذَا بى أَمُرُّ أَمَامَ حُجْرَةٍ ، بها مَكَاتِبُ كثيرةٌ ، وآلاتٌ كاتبةٌ ، كأَنَّهَا حُجْرَةٌ فى إِحْدَى الوِزَارَاتِ . ففَهِمْتُ أَنَّهَا إِحْدَى حُجُرَاتِ الإدارةِ . عندَ ذلكَ خَطَرَتْ لى فِكْرَةٌ ، وهى : « هَلْ أَتَشَجَّعُ فَأَسْأَلَ بنفسى عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ من أَمْرِ السفينةِ أَمْ أَنْتَظِرَ والدى ؟ » وأخيراً صَمَّمْتُ عَلَى التَّقَدُّمِ فوَقَفْتُ هُنَيْهَةً أُفَكِّرُ فى الجُمْلَةِ التى سَأَقُولُهَا بالإنجليزيَّةِ ، ورَاعَيْتُ تَمَاماً خُلُوَّهَا من الأَخْطَاءِ النحويَّةِ التى كُنَّا نُعَاقَبُ عليها فى المُحَادَثَةِ والإنشاءِ .

ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى أَقْرَبِ رَجُلٍ إِلَىَّ وَحَيَّيْتُهُ بشىءٍ من الخَجَلِ ، فَرَدَّ التَّحِيَّةَ مُبْتَسِماً ، وَكَأَنَّمَا أَدْرَكَ ما كَانَ يَبْدُو علىَّ من الاضْطِرَابِ . فقالَ : « هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ لك شيئاً ، يا وَلَدِى . » فقُلْتُ : « مَا عَدَدُ بَحَّارَةِ هذه السفينةِ ؟ » قالَ : « أَرْبَعُمِائَةٍ . » قُلْتُ : « وما عَدَدُ الرُّكَّابِ ؟ » قالَ : « ٥٣٠ راكباً بالدرجةِ الأولى و ١٠٧٠ بالدرجةِ الثانيةِ . » قُلْتُ : « أَشْكُرُكَ ؟ » ثُمَّ جَرَيْتُ أَبْحَثُ عنْ والدى لأَنْقُلَ إليهِ النَّبَأَ الجديدَ . تَصَوَّرْ ، ياعَلِىُّ ، هذا العَدَدَ العظيمَ ، الْفَ راكبٍ ،

يعيشون على ظهر هذه السفينة ، ينامون ويأكلون ، ويشربون ، ويلعبون ، ويمرحون !

وكانت الساعة الرابعة والنصف حين سمعت من صفارة الباخرة صفيراً عالياً متقطعاً ، والنواقيس تقرع قرعاً شديداً متواصلاً . وتبع ذلك حركة غير عادية بين البحارة ، فرأيتهم يعدون فى اتجاهات مختلفة . عند ذلك استولى علىّ رعب شديد ، وقمت أبحث عن والدى لأسأله عن الخبر ، فوجدته متجهاً نحو حجرتنا ، فقلت له : « ماذا جرى يا أبى ؟ » فقال : « لا تنزعج ، ولا تخف ، فا هذه إلا تجربة الخطر ، وسترى الآن ما يكون » . نزلنا إلى حجرة النوم ، فأخرج منها والدى شيئاً غريب الشكل ، قال : « إنه رداء النجاة » . فألبسنى إياه . وهو أربع قطع من (الفلين) تقع اثنتان منها على الصدر ، واثنتان على الظهر ، ويربط الرداء من الأمام فقط . ولبس والدى رداءه ، وهو مثل ردائى تماماً حجماً وشكلاً . ثم هرعنا الى الخارج ، فقابلنا خادم الحجرة فقال : « الطبقة السابعة ، رقم (١٦) » . فأسرعنا إلى حيث وجهنا الخادم ، ووقفنا تحت الرقم ١٦ ، وهو رقم قارب النجاة المخصص لقسمنا . واصطف الركاب جميعاً كما نصطف فى الصباح بالمدرسة ، غير أن النظام هذا يقضى بوقوف السيدات والأطفال فى الصف الأمامى ، والرجال فى الصف الخلفى . ثم جاء أحد الضباط ، فألقى علينا بعض تنبيهات وإرشادات خاصة بما يجب عمله ، إذا ما أصيبت الباخرة بشىء ، لا قدر الله ، ثم انصرفنا نسأل الله السلامة .

أقيمت فى المساء حفلة سمر اشترك فيها كثير من الركاب بالغناء واللعب والتمثيل .

اليوم الثالث :

لا يزال الجو بديعاً والبحر هادئاً صافياً . وقد أخرنا الساعات نصف ساعة أخرى الليلة الماضية ، فأصبح الفرق بيننا وبينكم ساعة كاملة . بدأنا بالسير فى بوغاز مسينا الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم ، فكانت إيطاليا على يميننا ، وجزيرة صقلية على يسارنا . وكنا نرى الساحل الإيطالى واضحاً ، لأننا كنا أقرب إليه منا إلى ساحل الجزيرة .

وزعت فى المساء جوائز على الفائزين فى الألعاب المختلفة . وقد كان الربان يقدمها إليهم ، ثم يصافحهم واحداً واحداً ، كما يفعل الناظر فى حفلة الألعاب .

قرأت اليوم فى لوح الإعلانات أننا سنصل غداً صباحاً إلى نابولى ، وسنغادرها الساعة الخامسة بعد الظهر ، وسيكون لدينا متسع من الوقت لزيارة المدينة . وسأغلق هذا الخطاب الآن فى صندوق البريد بالباخرة ، وسأرسل اليك خطابى المقبل من لندن .

أخوك

سمير